عبدالله المناعي.. المسرح بالحواس الخمس

أربعة خرجوا من «خورفكان»..

أحمد راشد ثاني «الشاعر المسكون بسحر المسرح» وعبدالله المناعي «المسرحي المسكون بسحر الشعر».. وبينهما محمد أحمد ابراهيم، وعبدالله السعدي التشكيليان المسكونان بسحر الفن، السعدي يدون سيرة الجبال بما يشبه الايقونات المبعثرة تحت الظلال ومحمد أحمد يقمط الاشجار ويقدم اليها كل عام هدية من القماش الذي لا يصلح لثياب البشر.

هذه «خورفكان» الماثلة كالنشيد القصير بين الجبل والبحر، بلدة شمس وماء تقدم نفسها للشعراء بكل لياقة، ولكن من دون أن تنحني، لكي لا تخدش كبرياءها المبدعة.

ترى، ألتلك هي مرفأ مفتوح للجمال المولود من تزاوج الحجر والماء؟

أربعة خورفكان يجيبون عن هذا السؤال كل منهم على طريقته، وطريقة عبدالله المناعي ستكون الاجابة الاصعب، لأنه اختار ان يذهب الى الفن الذي لا يعترف الا بالقوة، انه المسرح، وبالفعل، ما من فنان ضعيف يصمد طويلا على الخشبة، لأن للضعف من الثقل ما من شأنه ان يكسر حتى الخشب!

تمثلت قوة عبدالله المناعي في شخصيته القيادية المبكرة «حاول في أول شبابه ان ينظم إضراباً لمجموعة من العمال» ثم ان الاخراج المسرحي في حد ذاته عمل يتطلب القوة، يخبرنا بذلك رجال المسرح التجريبي ومسرح العبث ومسرح الايحاء القائم على لغة الجسد، ولابد من ان يكون جسداً قوياً لكي تكون لغته لغة مسرحية قوية.

يقول متابعو الحركة المسرحية الاماراتية ان المناعي في مرحلة من مراحله الفنية كان ينادي بما أسماه هو او اسماه النقاد «مسرح الحواس الخمس».. وهذه أيضا دعوة اخرى الى القوة الجديرة بالوقوف على الخشبة.. الجديرة بازاحة الستارة عن صالة مكتظة بالنظارة، وكان بوسع المناعي ان يمر سريعا بعينيه على

عبدالله المناعي

هؤلاء المشاهدين، ويبروزهم بنظرة ثاقبة، ثم يحييهم تحية المسرح.

وعبدالله المناعي هو اثنان في واحد.. عبدالله قبل عام 1994 وعبدالله بعد عام 1994 وفي «القبل» و«البعد» كان قويا، لكن أنموذج القوة سيكون لدى هذا الفنان اكثر تظهيراً بعد ذلك العام الذي نهض منه المناعي متحدياً حتى جسده الذي خانه بالمرض.

قوة المناعي تضاعفت بعد 1994، فقد أخذ يقدم منذ ذلك العام وحتى الآن اعمالا تركز على ارادة الإنسان، وقوته ايضا، القوة البدنية والقوة الروحية، الفكرية، الجمالية، الابداعية.. كل شيء له صلة بالقوة يرحب به المناعي لأن الضعف لا يلتقي وطباع المسرح.

وضع بصمته المسرحية في الامارات في العام 1980 عندما قدم مسرحيته ذائعة الصيت «دجاجة وطيروها» ثم سرعان ما عزز شخصيته الفنية في مسرحيته التالية «الرجل الذي صار كلبا» وبحساب اعماله منذ اواسط السبعينات وحتى الآن - ربما يكون المناعي هو الاكثر عطاء مسرحيا بين التمثيل والاخراج والتأليف او الاعداد، معتمداً في مرحلة من مراحله على نصوص مسرحية غير اماراتية يقوم بتحويلها الى اعمال فنية ذات طابع له خصوصيته الفنية بذلك التوافق الذكي بين أصل المسرحية وتحويلها الى المحلية، وهو في ذلك أخذ عن توفيق الحكيم، فرحان بلبل من سوريا، وأخذ عن الارجنتيني «اوزفالدو داراكول»، وفي كل اعماله كان مشدوداً دوماً الى الحواس.. حواس الممثلين وحواس الجمهور ايضا بغطاء ثابت ودائم ايضا هو «القوة».

لقد أتيح لي أن أشاهد عدداً من اعمال المناعي خصوصا بعد انتصاره على مرضه وعلى جسده.. وكانت اعماله دائما موضع ترقب في ايام الشارقة المسرحية، وأقول بلا مبالغة انه يرسل القشعريرة في بدن مشاهده. ويخال اليك انه يتصرف مع عناصره المسرحية بلا رحمة، فلا مكان للضعيف على خشبته، وهو ذاته يقدم أنموذجاً عملياً على هذا الخيار او الاختيار القوي.

أضيف أمراً آخر، فأنا لم أرَ او أقرأ عن فنان مسرحي أحب وعشق المسرح مثلما رأيت في شخصية المناعي واذا كان المناعي قد خانه المرض في فترة ما. فإن المسرح هو الذي عالجه من المرض، المسرح هو الذي أعاد اللياقة البدنية والروحية الى جسد المناعي.

المسرح علاجه الطبيعي والواقعي، هو الذي يتحرك اليوم في الفضاء المسرحي الاماراتي بكل عافية ومحبة، أجل محبة، اذ يورد الشاعر عادل خزام في كتابه المهم «الستارة والاقنعة - قراءات في مسرح الامارات».. الصادر عن دائرة الثقافة والاعلام عام 2003، انه - اي خزام - لم يلمس طول فترة احتكاكه بالوسط المسرحي الاماراتي اجماعا على محبة وتقدير فنان مثلما هو الأمر تجاه المناعي الذي يلتقي جميع مسرحيي الدولة على احترامه بكل ثقة.

يستحق عبدالله المناعي مثل هذا الاجماع، وتستحق «خورفكان» أن نرفع لها أربع قبعات.

يوسف أبو لوز